

خُلُق الاستقامة



هناك كليات في الشريعة الإسلامية: (الركبتابُ أُوْ كَرِمَاتُ آيَاتُهُ تُمَّ فُصِّلَاتٌ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود/ 1). ومنها كليات في الأخلاق، ومن كليات الأخلاق الإسلامية، خُلُق الاستقامة.

لأن خُلُق الاستقامة يعين الإنسان على الإصلاح في الأرض، قال تعالى: (.. وَأَمْهَلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ السَّيِّئِينَ الْمُفْسِدِينَ) (الأعراف/ 142). لأن أوّل الإفساد هو اعوجاج عن طريق الإصلاح، فيجب عليك أن تقاوم في نفسك مَيلها إلى الاعوجاج وتُجاهد نفسك أعظم المجاهدة، ولا يكون ذلك إلا بالاستقامة.

الاستقامة هل هي خُلُق أم عبادة؟ هل هي في التعامل مع الناس أم في العلاقة مع الله فقط؟

الاستقامة، خُلُق من الأخلاق الإسلامية، لذلك عندما جاء أبو عمرو سفيان بن عديّ الثقفى (رض)، قال: قلت: "يا رسول الله، قُل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحداً غيرك؟" يسأل عن الكليات لا ويسأل عن التفاصيل. الرجل يسأل عن الأمور الجامعة. بالتالي، فالرد النبوي سيكون أيضاً في الكليات الجامعة. قال له رسول الله (ص): "قُلْ أَمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِم". فالاستقامة خُلُق جامع شامل للدين والإسلام وللأخلاق.

والعجيب أن الرجل لم يسأل النبي (ص) عن معنى الاستقامة أو كيف أستقيم، وهل هي صعبة أم سهلة، لأنه فهم أن كل هذه الأسئلة نوع من اللتواء، والاعوجاج الذي هو عكس الاستقامة وخروج عن الاستقامة نفسها، مثل الاعوجاج الموجود عند بني إسرائيل، عندما قال لهم موسى (ع): (إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي مُرُكَّبًا أَنْ تَذُوبًا يَحُوتُوا بِقَرَّةٍ) (البقرة/ 67). فكثرت الأسئلة التي أخرجتهم من الاستقامة عن اللون وأن يُبيّن ما هي، ولكن الرجل فهم ببساطة أن (استقيم) هي: لا لللتواء ولا للاعوجاج.

ولكن، ما هي الاستقامة؟ وما هي حدودها؟

الاستقامة في اللغة عكس الالتواء والاعوجاج، مثل الخط المستقيم، فكل ما فيه التواء خرج من الاستقامة، وكل ما فيه اعوجاج خرج عن الاستقامة.

فالاستقامة كلمة جامعة للخير، ولجميع السجايا الحميدة، والخلال الكريمة، وأسمى ما يطلبه الإنسان في هذه الحياة أن يُوصف بأنه مستقيم.

وجميع الأنبياء (صلوات الله عليهم) كانت رسالاتهم والهدف منها أن يستقيم الناس، وتستقيم بهم أحوالهم، وتستقيم بهم دنياهم، وتستقيم بهم أمور آخرتهم.

فأمر الله جل جلاله نبيه محمد (ص)، أن يستقيم ومَن تاب معه على جادة الحق، غير عادلين عنها، وألا يتجاوزوا ما أمروا به، فذلك هو الطغيان: (فَاسْتَقِيمُوا كَمَا أُمِرْتُمْ وَمَنْ تَابَ مَعَكُمْ وَلَا تَطَغَوْا إِنَّ زَوْجَهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بِصِيرٍ) (هود/ 112).

وأمر الله تعالى المؤمنين بالالتزام بالصراط المستقيم، فقال تعالى: (وَأَنْتُمْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأنعام/ 153). وقد جاء عن الرسول (ص)، أنه خطَّ خطاً مستقيماً، وخطَّ عن يمينه خطوطاً، وعن شماله خطوطاً. ثم قال مشيراً إلى الخط المستقيم: "هذه سبيل الله". وقال مشيراً إلى الخطوط التي عن يمينه وعن شماله: "هذه سبيل.. على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه". ثم قرأ الرسول الكريم (ص)، قول الحق تعالى: (وَأَنْتُمْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...) (الأنعام/ 153).

لذلك، نُردِّد في كل صلاة، كل يوم، في سبع عشرة ركعة، قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة/ 6)، ونُدرك من الآية مدى قيمة الاستقامة على طريق الحق. فالطريق المستقيم هو أقرب الطرق إلى الهدف، أما الطرق المعوجة فلا تؤدي إلى شيء سوى الهلاك. والطريق المستقيم هو طريق المؤمنين الذين أنعم الله عليهم في الدنيا والآخرة (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا لَهُمُ الْكِتَابَ وَالَّذِينَ أُولُوا الْأَلْبَانُ وَالَّذِينَ أُولُوا الْأُفْجَاءِ وَالَّذِينَ أُولُوا الْأَسَدِ وَالَّذِينَ أُولُوا الْبُرْجِ وَالَّذِينَ أُولُوا النَّعْتِ وَالَّذِينَ أُولُوا الْقَبِيبِ وَالَّذِينَ أُولُوا الْحَمِيقِ وَالَّذِينَ أُولُوا الْأَسَدِ وَالَّذِينَ أُولُوا الْبُرْجِ وَالَّذِينَ أُولُوا النَّعْتِ وَالَّذِينَ أُولُوا الْقَبِيبِ وَالَّذِينَ أُولُوا الْحَمِيقِ) (الأنعام/ 7).

هل أنت مستقيم أم معوج؟ كل اعوجاج خروج عن الاستقامة، فالاستقامة جامعة للنزاهة والعدل والإنصاف وأداء الحقوق وعدم الغش.

ومن الاستقامة اجتناب الكذب والخيانة والتزوير والتدليس وخلف الوعود.

ومن أهم أشكال الاستقامة استقامة الفكر، بأن يكون الفكر وسطياً بلا تطرف، ويكون باعتدال من دون تشدد.

واستقامة منهج التفكير تكون بالتباعد الأدلة والحجج العلمية والعقلية، بلا ترديد للكلام، من دون فهمه.

ومن الاستقامة أن يستقيم قلبك، فتحب لأخيك ما تحب لنفسك. هل رأيت كيف أن الاستقامة كلمة أخذت بمجامع الأخلاق كلها؟ وصدق رسول الله (ص): "فُلْ آمَنُتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِيمَ" أي: لسان مستقيم، عمل مستقيم، نية مستقيمة غير مخادعة، فكر مستقيم، عقيدة مستقيمة.. إلخ. لذلك يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الأحقاف/ 13).

هل أنت شخصيتك غالب عليها الاستقامة أم توجد منطقة في حياتك الشخصية أو الاجتماعية أو المالية

ملتوية؟ احذر أن تفسد كل حياتك بسبب هذه المنطقة، من اليوم استقم، وليستقم كل واحد منّا في منطقتة لننال ثمار الاستقامة.

وللإستقامة ثمار عديدة لا تنقطع، فهي باب من أبواب الخير، وبركتها لا تقتصر على صاحبها فحسب، بل تشمل كل من حوله، ويفهم هذا من قوله تعالى: (وَأَلِّوْا سِتْقَامًا وَعَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا) (الجن/ 16). هذا في الدنيا وفي الآخرة قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ... (فصلت/ 30). الملائكة تنزل لهم بخصوصية كاملة. لماذا؟ لتبشّرهم: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نَزَّلْنَا مِنَ الْغُورِ رَحِيمًا) (فصلت/ 30-32).

هذا عن الإستقامة في الأقوال والأفعال، ولكن، إذا أردنا أن نتحقق الإستقامة في البدن، فلا بد من إستقامة القلب أو ولاً، لأن القلب هو مَلِكُ الأعضاء. فمتى استقام القلب على معاني الخوف من الله ومحبتة وتعظيمه، استقامت الجوارح على طاعة الله، ثم يليه في الأهمية: استقامة اللسان، لأنّه الناطق بما في القلب والمعبر عنه.

وبعد هذا العرض السريع لهذا الخلق العظيم، يأتي السؤال: كيف أستطيع تطبيق هذا الخلق في حياتي حتى يصبح صفة من صفاتي؟ نستطيع ذلك بخطوات عديدة منها:

1- اختر آية أو حديثاً أو قولاً مأثوراً من داخل المقال، أو متعلقاً بخلق الاستقامة ويكون أثر فيك، واجعله شعارك هذا الأسبوع.

2- جرّب بنفسك، وحاول أن تعيد الاستقامة في أمر من الأمور التي تشعر بأنك ابتعدت عن الاستقامة فيها، وحاول دائماً حتى تتحقق الاستقامة في حياتك كلها.

3- شجع غيرك على خلق الاستقامة لتضمن انتشار هذا الخلق بين الناس، وليعم الخير على الجميع، وعندما تشجع غيرك يزداد في داخلك الدافع إلى التطبيق.

4- الدعاء.. ادعُ ربنا بصدق وإخلاص أن يجعلك مستقيماً ويعينك على الاستقامة في حياتك كلها، مع الناس ومع أهلك ومع نفسك.

وأخيراً، أكثر من دعاء النبي (ص): "واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت". ▶